



الرد على نقد العهد القديم – ٣ التوراة البابلية – خرافة ثقافة التخلف

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٥

نقد العهد القديم - ٣

التوراة البابلية - خرافة ثقافة التخلف

لا أريد أن أذكر أسماء السادة الذين جمع القلم في يديهم، وصال وجال وأخذ من الخيال وحده ذلك الكم من الصفحات التي تشي عن عقول لا تعرف قواعد البحث التاريخي، أو اللغوي، أو حتى أبسط ما هو مقبول في الأبحاث الدينية. لكي نكتب بأمانة عن التوراة البابلية، لأبّد من وجود نص أو توراه، والاسم الصحيح هو توراه، وهو اسمٌ عبراني يعني "تعليم"، وهو الاسم الخاص بالأسفار الخمسة الأولى التي تحمل اسم موسى النبي. على أنه لا وجود لكتاب أو مجموعة من النصوص أو النقوش تحمل هذا اسم "التوراة البابلية". فهذا الاسم هو اسمُ فكرة خيالية، لا وجود لها.

عند كل الشعوب القديمة في العراق (ما بين النهرين) - سوريا الكبرى - مصر الفرعونية .. الخ قصصٌ عن أصل الكون وأصل الإنسان؛ لأن كل الحضارات القديمة في العالم القديم كله، وُلِدَت في داخل الديانات القديمة. هي حضارة دينية بما فيها حضارة، بل ثقافة العالم اليوناني - الروماني الذي، رغم خروج مدارس الفلسفة من قلب الأفكار الدينية، إلّا أن الفكر الديني أو الأفكار الدينية هي التي خلقت رؤية الإنسان إلى: أصله - الميلاد من الأب والأم - الزواج - الأسرة - الميراث .. الخ. الحياة على الأرض والحياة بعد الموت.

فهل يعرف السادة أصحاب الأفلام الحائرة اننا امام احتمالين:

الأول: هو أن التوحيد كان هو المبدأ الأول السائد، وأعقبه الوثنية.

الثاني: إن الوثنية كانت هي المبدأ السائد الذي أدّى إلى التوحيد.

وكلا الاحتمالين له من يسانده ومن يعارضه؛ لأننا نحاول أن نقرأ التاريخ والعادات والعقائد بنظرة أدق، وليس لدينا في حقيقة الأمر حقائق تاريخية، بل الافتراضات التي تساعدنا على الاقتراب من التراث الإنساني القديم والعالمي أيضاً. حتماً يوجد تشابه بين عقائد كل الشعوب، وحتماً يوجد اختلافات. التشابه يظهر في

تعامل الإنسان وصياغة الصلوات والتعبير عن المشاعر والآمال الإنسانية التي لا يختلف عليها إنسان مع أخيه الإنسان، رغم اختلاف اللغة والبيئة والمكان الجغرافي. الآمال والمخاوف والحب والكراهية والحسد والعنف، هذه كلها سمات عامة لكل شعوب الأرض، مهما كان زمانها أو مكانها، ومهما كان اختلاف التعبير عنها. عندما درسنا ثقافة العالم القديم كان لدينا مرجع هام لم يصل بعد -حسبما أعرف- إلى بيوت الترجمة والنشر وهو كتاب:

James. Pritchard: Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament.

إصدار جامعة برنستون في أمريكا - عدة طبعات.

الذين يخافون من التفكير قاوموا بشدة ترجمة ونشر الكتاب في لبنان، وجاءت عواصف حرب لبنان، وعاد المترجم الأرميني د. خانبجيان إلى أمريكا، ومات المشروع. تراث الإنسانية القديم لا يلغي الوحي، ولا يحذف دور الأنبياء، ولا يجعل من العهد القديم كتاب خرافات عبرانية، بل تؤكد القراءة الدقيقة، إن ما سُجِّل في سفر التكوين الإصحاح الأول، وبعد ذلك في مزمور ٨ عن خلق الكون والإنسان، كان ضد ثقافة الشعوب الأخرى التي عبدت الحيوانات والبشر، وأقامت الأصنام بينما يقول المزمور الثامن:

- أرى السموات عمل اصابعك

- القمر والنجوم أنت التي كونتها (٨ : ٣)

وعن الإنسان

- من هو الإنسان حتى تذكره؟ وتنقصه قليلاً عن ألوهيم^(١)

- بمجد وبهاء تكلمه

- تسلطه على أعمال يديك

- جعلت كل شيء تحت قدميه، الغنم والبقر جميعاً

- وبهائم البر أيضاً وطيور السماء ... (٨ : ٤-٨)

(١) حسب الأصل العبراني، أي أقل من الله.

- أيها الرب سيدنا ما أجد اسمك في كل الأرض (٨ : ٩).
 بل، هناك الخلق الذي ينتهي بأعظم مكانة للإنسان، وهي أنه "صورة الله
 ومثاله" (تك ١ : ٢٦)، وهو تعليمٌ غائبٌ، ليس تماماً في العصر الحديث، وغاب من
 العصر الوسيط شرقاً وغرباً.
 حتماً سوف نقرأ الكثير من قصصٍ قديمةٍ عن الخلق، ولكن تبرز قصة خلق
 الإنسان في سفر التكوين في أن الله خلقه لكي يكون الإنسان "صورته ومثاله"، من
 أهم ما جاء في العهد القديم.

يتبع

دكتور

جورج حبيب بباوي